تعقيب الأستاذ مروان البوّاب

قرأت مقال الدكتور محمد حسان الطيان المعنون بـ (العربية لغة العلم)، ودقّقْتُ النظر في الفقرة المتعلقة بميزة موافقة المنطوق للمكتوب في العربية، فحضرتني قصة أبي الأسود الدُّؤلي التي رواها السيوطي في كتابه (الأخبار المروية في سبب وضع العربية)، فقال: «وقال ابن الأنباري: حدثني أبي حدثني أبو عكرمة قال: قال العتبي رحمه الله: كتب معاوية إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه، فلما قدم عليه كلّمه فوجده يَلْحَن، فردَّه إلأى زياد وكتب إليه كتابًا يلومه فيه ويقول: أمثل عبيد الله يضيع؟

فبعث زياد إلى أبي الأسود فقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراءَ [يعني العجم] قد كثرتْ وأفسدتْ من ألْسُن العرب، فلو وضعتَ شيئًا يُصلح به الناسُ كلامَهم ويُعربون به كتابَ الله، فأبى ذلك أبو الأسود.

فوجَّه زياد رجلاً وقال له: اقعدْ في طريق أبي الأسود، فإذا مرَّ بك فاقرأ شيئًا من القرآن وتعمَّدِ اللَّحْنَ فيه. ففعل ذلك. فلما مرَّ به أبو الأسود رفعَ الرجلُ صوتَه فقرأ: إن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه – بالجرّ – فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عزَّ وَجْهُ اللهِ أن يَبْرَأَ من رسولِه، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذذا قد أجبتُكَ إلى ما سألتَ، ورأيتُ أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعثْ إليّ ثلاثين رجلاً، فأحْضَرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزلْ يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبج القيس فقال: خُذِ المِصحف وصِبْغًا يخالف لونَ المِداد، فإذا فتحتُ شفتي فانقطْ واحدةً فوق الحرف، وإذذا ضممتُها فاجعلِ النقطةَ إلى جانب الحرف، فإذذا كسرتُها فاجعلِ النقطةَ من أسفل الحرف، فإن أتبعتُ شيئًا من هذه الحركات غنَّةً فانقطْ نقطتين. فابتدأَ

بالمصحف حتى أتى على آخره)).

نستدلُّ من هذه الرواية أن علامات الشَّكْل (الصوائت) إنما وضعتْ لضبط النطق وضمان صِحَّته. وبذلك فإن النصَّ العربيَّ إذا أُضيفتْ إليه علاماتُ الشَّكْل أصبح تعبيرًا حقيقيًا عن منطوقه، وغدا صورةً مكتوبةً لهذا المنطوق به فهذه العلامات إذن لازمةٌ وكافية (مع بعض القواعد الصوتية والاستثناءات القليلة) للنطق بالنص نطقًا سسليمًا. ونستطيع القول: إن النصَّ العربيَّ المشكول يُكتَب كما ينطق به، وينطق به كما يكتب.

على أن اللغة العربية ليست اللغة الوحيدة التي تفرّدتْ بهذه الميزة؛ فالعبرية المشكولة – مثلاً – تقرأ كما تكتب، وتكتب كما تقرأ.

وبالمقابل هناك لغات لا تتمتع بهذه الميزة، كالإنكليزية مثلاً، فهي لا تقرأ كما تكتب، ولا تكتب كما تقرأ؛ إذ تتضمن هذه اللغة كلمات لها صوائت مختلفة، ومع ذلك فهي تنطَق بوجه واحد. مثال ذلك أزواج الكلمات الآتية:

bail	bale	harre	hair	sail	sale
bare	bear	hear	here	sea	see
bite	byte	I	eye	shear	sheer
boy	bouy	Know	no	shear	sheer
dear	deer	Iyre	Iiar	time	thyme
die	dye	maid	made	too	two
done	dun	none	nun	wail	whale
hail	hale	pier	peer	wait	weight

وبالعكس، توجد في الإنكليزية كلماتٌ لها صوائت متماثلة، ومع ذلك فهي تنطق بأوجه مختلفة [دون النظر إلى السواكن (الصوامت)؛ مثل:

beard	Heard	Door	Doom	Mind	Mint
Book	Moon	Foot	Food	Phone	Shone
Bough	Bought	Four	Tour	Put	Pub
Bow	Bow	Good	Mood	Read	Read

Code	Come	Hall	Ham	sheep	sheer
diet	mien	heap	head		

يضاف إلى ذلك أن لبعض السواكن (الصوامت) رسمين مختلفين؛ نحو: (f, ph)، و: (k, c)، وأن لبعضها لفظين مختلفين نحو: (th)، و (s)، و (c).

كل ذلك يدل على أن النطق بالكلمات في اللغة الإنكليزية لا تنتظمه قوعد محددة، بل لابدّ –كما أشار الدكتور حسان – من العودة إلى المعجم الذي يرسم رموز النطق.

أما القواعد الصوتية العربية التي أشار إليها الدكتور حسان، فأهمها: اللام القمرية والشمسية، والتفخيم والترقيق، وهمزة الوصل والقطع، وحروف المدّ، وهاء التأنيث، والتقاء الساكنين، والوقف، وألف التفريق، والتنوين..

وأما القائمة التي شذَّتْ ألفاظها عن هذه القواعد الصوتية، فمبثوثة في كتب الإملاء العربي، وأهم هذه الألفاظ: (عمرو، أولئك، أولو، أولي، أولات، مائة، الله، اللهم، لكن، هذا، هذه، هذان، هؤلاء، ابن، ابنة، امرؤ، اسم، اثنان، اثنين، اثنتان، اثنتين، امرأة).

بناء على ماتقدَّم، أرى أن ماذكره الدكتور حسان عن مطابقة المنطوق به للمكتوب في العربية صحيحٌ ولا غبار عليه. ويمكن – زيادة في الاحتراز والدقة – إضافة كلمة (المشكول) بعد كلمة (للمكتوب) في السطر الأول من الصفحة (١٣).

يرجى التفضل بالاطلاع ولكم الشكر الجزيل.

مروان البواب